

من مقاصد الصلاة

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

الطبعة الثانية

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

(٢)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

أما بعد : فهذه رسالة موجزة في بيان مقاصد الصلاة والحكم من تشريعها وآثارها البالغة في توثيق الصلة بالله تعالى وتعظيمه والركون إليه والاعتماد عليه في حالي السراء والضراء ، ونتائجها الباهرة في تقوية الإيمان وتهذيب السلوك وتربية النفوس على الطمأنينة والصبر ، والالتزام بالنظام والانضباط في تطبيق التعاليم السامية ، إلى جانب آثارها الكبيرة في تطهير النفوس من الآثام ورفع الدرجات في الجنة.

(٣)

(٤)

من مقاصد الصلاة بعد التعديل ١٦/٦/١٤٣٥ هـ

الصلاة الكاملة

الصلاة الكاملة مظهر ومخبر، فمظهرها أداؤها
كاملة بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، وقد بين
الفقهاء ذلك في كتب الفقه .

ومخبر الصلاة الخشوع وهو سكون القلب الذي
يترتب عليه سكون الجوارح، وهو مبني على حضور
القلب مع الله تعالى ومع الصلاة، وحيث إن هذا
الموضوع يحتاج فيه المسلمون إلى بيان وتذكير لعدم
الاهتمام به في مناهج الفقه الدراسية ولأهميته البالغة
في كمال هذه العبادة العظيمة فإنني أرى من المهم
الإشارة إليه بشيء من التفصيل.

(٥)

فالخشوع هو روح الصلاة وجوهرها، ولذلك
جعل الله تعالى أول صفات المؤمنين الذين حكم لهم
بالفلاح في قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ
فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

وهو سكون القلب وخضوعه وتذللُّه لله عز
وجل، كما أخرج أبو جعفر ابن جرير الطبري عن ابن
عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ
هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ خائفون ساكنون.

وذكر عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: الخشوع
في القلب، وأن تُلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت.

قال: وعن الحسن البصري قال: كان خشوعهم
في قلوبهم، فغضوا بذلك البصر، وخفضوا الجناح.
وقال الإمام ابن جرير الطبري في معنى الآية:
والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم
من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت
ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه، وتركه
ما أمر بتركه فيها^(١).

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: وأصل الخشوع
هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره
وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح

(١) تفسير الطبري (١٨/٢-٣).

والأعضاء لأنها تابعة له، كما قال رسول الله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»^(١).

فإذا خشع القلب خشع السمع والبصر والرأس والوجه وسائر الأعضاء وما ينشأ منها حتى الكلام، لهذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه في الصلاة: «خشع لك سمعي وبصري ونخي وعظمي»^(٢).

ورأى بعض السلف رجلاً يعبث بيده في الصلاة فقال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه.

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الإيمان رقم ٣٩.

(٢) أخرجه الإمام مسلم رقم ٧٧١، وأحمد ١٠٢/١، ٩٤، ١١٩.

ورُوي ذلك عن حذيفة رضي الله عنه وعن سعيد بن
المسيب، ويروى مرفوعاً لكن بإسناد لا يصح^(١).

(١) الخشوع في الصلاة لمحمد بن نصر / ٢٦-٢٧.

آثار الخشوع في الصلاة

من الآثار المترتبة على الصلاة الكاملة المشتملة

على الخشوع ما يلي:

١- تحقق إقامة ذكر الله تعالى في الأرض:

وهذه هي أبرز الحُكَم من شرعية الصلاة، قال

الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فإقامة ذكر الله تعالى

في الأرض أعظم مقاصد الصلاة.

٢- خشية الله تعالى :

من الآثار الإيمانية التي يولدها الخشوع في

الصلاة القائم على حضور القلب مع الله تعالى إحياء
معاني الخوف من الله عز وجل لأن شعور المصلي بأنه
واقف بين يدي الله سبحانه مع تذكر عظمته وهيمنته
الكاملة على خلقه يزيد من إحساسه بخشية الله
سبحانه، كما رُوي عن علي بن الحسين زين العابدين
رحمه الله أنه كان إذا توضأ اصفر وجهه وارتجفت
أطرافه، ف قيل له في ذلك فقال: ويحكم أتدرون بين
يدي من ساقف!!

٣ - فاعلية الصلاة في محو الخطايا:

وقد جاء في ذلك أدلة كثيرة منها ما أخرجه
الإمام مسلم من حديث عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(١١)

«ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤتِ كبيرة^(١) وذلك الدهر كله»^(٢).

فهذا الحديث الشريف يبين لنا آثار الصلاة الكاملة في محو الخطايا وفيه إشارة إلى مخبر الصلاة ومظهرها فمن الإشارة إلى مخبر الصلاة ذكر الخشوع، ومن الإشارة إلى مظهر الصلاة ذكر الوضوء الذي يعبر عن شروط الصلاة، وذكر الركوع الذي يعبر عن

(١) أي ما لم يعمل معصية كبيرة.

(٢) صحيح مسلم، رقم ٢٢٨، كتاب الطهارة (ص ٢٠٦).

أركان الصلاة.

وقوله « ما لم يُؤتِ كبيرة » يبين أن الصلاة وسائر الأعمال الصالحة يكفر الله تعالى بها الذنوب الصغيرة، وعلى ذلك يحمل قول الله تعالى ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤] ويدل على ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١] وقول رسول الله ﷺ «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفراتٌ ما بينهن إذا اجتنب الكبائر» أخرجه الإمام

مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (١).

أما الكبائر فإنه لا يكفرها من عمل الإنسان إلا
التوبة النصوح .

ومما يدل أيضًا على أن الخشوع في الصلاة له أثر
في مغفرة الذنوب ما أخرجه الإمام أبو داود من
حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول
الله ﷺ يقول «خمس صلوات افترضهن الله تعالى، من
أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن
وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم
يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء

(١) صحيح مسلم، رقم ١٦/٢٣٣، الطهارة (ص ٢٠٩).

عذبه»^(١).

وهذا الحديث والحديث الأول يبينان لنا أهمية الخشوع في الصلاة، حيث جاء ذكره بين شروط الصلاة وأركانها، فالوضوء والوقت من شروط الصلاة، والركوع من أركانها.

وكذلك مما يدل على أثر الخشوع في الصلاة في مغفرة الذنوب ما أخرجه الشيخان من حديث حُمران مولى عثمان أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعا بوضوء فتوضأ - فذكر كيفية وضوئه إلى أن قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من

(١) سنن أبي داود، رقم ٤٢٥، الصلاة، (١/٢٩٥).

توضاً نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين لا
يُحدّث بهما نفسه غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»^(١).

ومن ذلك ما أخرجه مسلم بن الحجاج رحمه
الله من حديث عمرو بن عبّسه السُّلَمي رضي الله عنه في خبر
إسلامه، وقد جاء فيه بعد ذكر الوضوء «فإن هو قام
فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجّده بالذي هو له أهل
وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيتته يوم
ولدت أمه»^(٢).

فقد جعل النبي صلّى الله عليه وآله تفرغ القلب لله تعالى في أثناء

(١) صحيح مسلم، رقم ٢٢٦، الطهارة (ص ٢٠٤).

صحيح البخاري، رقم ١٥٩، الوضوء (١/٢٥٩).

(٢) صحيح مسلم، رقم ٨٣٢، صلاة المسافرين (ص ٥٦٩).

الصلاة وعدم تحديث النفس بأموال الدنيا شرطاً في كون الصلاة مكفرة للذنوب.

٤- قبولها عند الله تعالى وأثرها في رفع الدرجات في الجنة:

فأما قبولها فقد اتفق العلماء على أن الصلاة لا يثاب عليها فاعلها إلا بمقدار ما يحضر قلبه فيها، وإنما اختلفوا في إجزائها وحكم إعادتها لمن لم يحضر قلبه مع الصلاة.

يقول الإمام ابن القيم في ذلك:

وقد اختلف الفقهاء في حكم إعادة الصلاة لمن غلب عليه الوسواس فلم يحضر قلبه مع الصلاة فأوجبها ابن حامد من الحنابلة وأبو حامد

(١٧)

الغزالي كما ذكر ذلك في الإحياء، ولم يوجبها أكثر
الفقهاء واحتجوا بأن النبي ﷺ أمر من سها في صلاته
بسجدي السهو ولم يأمره بالإعادة مع قوله «إن
الشیطان يأتي أحدكم في صلاته فيقول: اذكر كذا اذكر
كذا - لما لم يكن يذكر - حتى يضلَّ أن يدري كم
صلى»، ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله ثم قال: ولكن لا
نزاع أن هذه الصلاة لا يثاب على شيء منها إلا بقدر
حضور قلبه وخضوعه، كما قال النبي ﷺ: «إن العبد
لينصرف من الصلاة ولم يكتب له إلا نصفها ثلثها

ربعها - حتى بلغ عشرها»^(١) وقال ابن عباس رضي
الله عنهما «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها».
فليست صحيحة باعتبار ترتب كمال مقصودها
وإن سميت صحيحة باعتبار أنا لا نأمره بالإعادة،
ولا ينبغي أن يعلّق لفظ الصحة عليها فيقال: «صلاة

(١) أخرجه أبو داود من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال:
«سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا
عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها،
ثلثها، نصفها» - سنن أبي داود، رقم ٧٩٦، الصلاة (١/٥٠٣) -
وأخرجه أيضًا الإمام أحمد - المسند (٤/٣١٩) - ومحمد بن نصر -
تعظيم الصلاة رقم ١٥٢ -.

صحيحة» مع أنه لا يثاب عليها فاعلها»^(١).

وبهذا يتبين لنا أن الخشوع في الصلاة لازم لقبولها، ولكن الله جل وعلا يجبر العمل الناقص في الواجبات بما يقدمه العامل من الحسنات، فلعل الله تعالى أن يغفر لمن غلبه شرود الذهن بإكثاره من النوافل، غير أن الخشوع في الصلاة بصورة كاملة أو قريب من الكمال يبقى علامة تمييز للمقربين السابقين بالخيرات، وعلى رأسهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فليعترف بالتقصير كل من انتابه شرود

(١) مدارج السالكين (١/١١٢).

الذهن في الصلاة، وليعلم أن عباداً لله تعالى قد تفوقوا
عليه كثيراً حينما استطاعوا أن يرفضوا الدنيا من
تفكيرهم حين شروعهم في الصلاة.

وقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي
نقله الإمام ابن القيم يشبه قول عمار بن ياسر رضي
الله عنهما «لا يكتب للرجل من صلاته ما سها
عنه»^(١).

فالأمر واضح في عدم ترتب الثواب على الصلاة
التي يحدث الإنسان بها نفسه بأمور دنيوية، كما أنه

(١) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من
الآثار للحافظ العراقي (١/١٦٦).

واضح في أجزاء تلك الصلاة وعدم وجوب إعادتها
لظهور الدليل في الأمرين، ولكن هل يأثم من حدث
نفسه في صلاته بأمور دنيوية؟

الواقع أن من غلب عليه حديث النفس ذلك ولم
يتعمده فإنه يكون داخلاً في النسيان، وبالتالي يكون
معفوًا عنه لقول رسول الله ﷺ «إن الله وضع عن أمتي
الخطأ والنسيان وما استكروها عليه» أخرجه ابن ماجه
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما^(١) وذكره الحافظ
ابن حجر وقال: ورجاله ثقات^(٢).

(١) سنن ابن ماجه رقم ٢٠٤٥، الطلاق (١/٦٥٩).

(٢) فتح الباري (٥/١٦١).

لكن من تذكّر ذلك واستمر في حديث النفس
عمداً فإن هذا معرّض للإثم لأن هذا العمل فيه
استهانة بالصلاة.

والمقصود بانصراف الفكر الذي يؤثر في قبول
الصلاة أن ينصرف الفكر إلى الأمور الدنيوية، أما
انصرافه إلى أمور الآخرة فالظاهر أنه انتقل من عبادة
إلى عبادة، فلا يؤثر ذلك في ترتب الثواب على فعل
الصلاة، لكن لا يجوز تعمد ذلك.

ومما يدل على عدم تأثير ذلك على الصلاة ما
أخرجه الإمام البخاري من حديث عقبة رضي الله عنه قال:
صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم العصر، فلما سلم قام سريعاً،

دخل على بعض نسائه، ثم خرج ورأى في وجه القوم
تعجبهم لسرعته فقال: «ذكرت - وأنا في الصلاة -
تَبْرًا عندنا فكرهت أن يمسي - أو قال : يبيت - عندنا
فأمرت بقسمته»^(١).

وهذا ليس المقصود منه الاستغراق في التفكير،
وإنما هو مجرد خاطر خطر على قلب النبي ﷺ .

ولكن ورد ما يدل على شيء من الاستغراق في
التفكير في أمور الدين من عمر ﷺ كما جاء في قول الإمام
البخاري: وقال عمر إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة.

(١) صحيح البخاري، كتاب العمل في الصلاة رقم ١٢٢١، والتَّبْر
الذهب.

قال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي شيبة
بإسناد صحيح عن أبي عثمان النهدي عنه بهذا سواء.
قال: وروى صالح بن أحمد بن حنبل في كتاب
«المسائل» عن أبيه من طريق همام بن الحارث أن عمر
صلى المغرب فلم يقرأ، فلما انصرف قالوا: يا أمير
المؤمنين إنك لم تقرأ، فقال: إني حدثت نفسي وأنا في
الصلاة بغير جهزتها من المدينة حتى دخلت الشام،
ثم أعاد القراءة، قال: ومن طريق عياض الأشعري
قال: صلى عمر المغرب فلم يقرأ فلما انصرف قالوا: يا
أمير المؤمنين إنك لم تقرأ فأقبل على عبدالرحمن بن
عوف فقال: صدق، فأعاد، فلما فرغ قال: لا صلاة

ليست فيها قراءة، إنما شغلني عيرٌ جهزتها إلى الشام
فجعلت أتفكر فيها، قال: وهذا يدل على أنه إنما أعاد
لترك القراءة لا لكونه كان مستغرقاً في الفكرة^(١).

وأما أثر الصلاة في رفع الدرجات في الجنة فمن
أدلة ذلك ما أخرجه الإمام مسلم من حديث معاذ
ابن أبي طلحة اليعمري قال: «لقيت ثوبان مولى
رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني بعمل يدخلني الله به
الجنة - أو قال قلت: بأحب الأعمال إلى الله -
فسكت، ثم سأله فسكت، ثم سأله الثالثة فقال:
سألت عن ذلك رسول الله ﷺ - فقال: عليك بكثرة

(١) فتح الباري (٣/٩٠).

السجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها
درجة وخط عنك بها خطيئة».

قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء فسألته فقال لي
مثل ما قال ثوبان^(١).

وكذلك ما أخرجه الإمام مسلم أيضًا من حديث
ربيعة بن كعب الأسلمي قال: «كنت أبيت مع رسول
الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: سل، فقلت:
أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أو غير ذلك؟ قلت: هو
ذاك، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود»^(٢).

(١) صحيح مسلم رقم ٤٨٨، كتاب الصلاة (ص ٣٥٣).

(٢) صحيح مسلم رقم ٤٨٩، كتاب الصلاة (ص ٣٥٣).

وإذا كان كثرة السجود يُبلغ صاحبه مرافقة
رسول الله ﷺ في الجنة فإن ذلك دليل على أن الصلاة
ترفع صاحبها في درجات الجنة لأن النبي ﷺ في
الدرجات العليا من الجنة.

ومعلوم أن المقصود بهذه الصلاة الصلاة
الكاملة التي تشتمل على الخشوع، لأنها هي الصلاة
المقبولة عند الله تعالى.

ومما جاء فيه التصريح بذكر الخشوع وأثر ذلك
في مغفرة الذنوب ما أخرجه الإمام البخاري من
حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال - بعدما
توضأ نحو وضوء النبي ﷺ - : قال رسول الله ﷺ :

«من توضعاً نحو وضوءي هذا ثم صلي ركعتين
لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١).

٥- تحقق أثرها في تهذيب السلوك في هذه الحياة :

فأما تقويم سلوك الإنسان فبينه الله تعالى بقوله

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

[العنكبوت: ٤٥] ومفهوم الآية أنها تأمر بالمعروف

والإحسان. فالصلاة التي يُحضر فيها المصلي قلبه مع

الله تعالى خمس مرات في اليوم والليلة على الأقل كفيلة

بأن ترفعه إلى الاستقامة على أوامر الله تعالى وأن

تردعه عن ارتكاب ما نهى عنه.

(١) صحيح البخاري، رقم ١٥٩، كتاب الوضوء / ٢٤ (١/٢٥٩).

إن عبداً قد انقطع إلى معبوده يناجيه بلسانه
وقلبه ويستلهم منه الهداية والقوة يبعد منه أن يميل
بعد لحظات إلى معصيته، وإن استطاع شياطين الجن
والإنس أن يؤثروا عليه فيزينوا له الشهوات المحرمة
فإن له في لقائه الآخر القريب مع الله تعالى ما يطرد
عنه هذه الوسوس والأوهام.

ولعل ذلك من حكمة تكرار الصلوات
المفروضة خمس مرات في اليوم والليله إلى جانب
الصلوات التي شرعت بينها، خاصة في الأوقات
الطويلة نسبياً كصلاة الليل وصلاة الضحى.

أما ما نراه في المجتمع الإسلامي من كثرة

المصلين وهم مع ذلك يرتكبون الفواحش والمنكرات
فَمَرَدُّ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُقِيمُوا صَلَوَاتِهِمْ عَلَى مَنَهِجِ اللَّهِ
تَعَالَى وَمُرَادِهِ لِأَنَّ صَلَاتِهِمْ تَفْقَدُ أَهْمَ مَكُونَاتِهَا
الْأَسَاسِيَّةِ أَلَا وَهُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ مَعَ الصَّلَاةِ الَّذِي
يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ الْخُشُوعُ، وَبِذَلِكَ فَإِنَّ صَلَاتِهِمْ لَا تَوْثُرُ فِي
سُلُوكِهِمْ لِأَنَّ ذَلِكَ وَاضِحٌ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ
وَلَا تَقْرِبُهُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ لَيْسَتْ مَعَهُ جَل
وَعَلَا.

ولهذا إذا رأينا مسلماً يرتكب المنكرات فمما
يجدي معه أن نقول له: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ وأن نبين له صفة الصلاة

الكاملة المؤثرة، فإذا ضمنا منه أداء الصلاة كاملة كما شرعها الله تعالى فإنه حَرِيٌّ به أن يُقلع عن ارتكاب الفواحش والمنكرات كما ذكر الله سبحانه.

ولهذا يجب أن نربي أبناءنا على أداء هذه الصلاة المشتملة على الخشوع حتى نهيئهم بعون الله وتوفيقه لحياة صالحة سعيدة، ولن نحتاج بعد ذلك إلى جهد كبير في تربيتهم على الفضيلة وتحذيرهم من الرذيلة، لأنه يكفي مع إقامة الصلاة على وجهها أن يعرفوا الفضائل فيستقيموا عليها وأن يعرفوا الرذائل فيجتنبوها على الفور.

فالصلاة الكاملة تأمر بالمعروف وتنهى عن

المنكر لأنها تقوي الإيمان بالله تعالى وتعمق في نفس
المصلي تعظيمه سبحانه والخوف من عذابه ورجاء
ثوابه، وإذا تعمق هذا الشعور الإيماني في قلب المسلم
فإنه يتكوّن لديه الوازع الديني الذي يدفعه إلى
الفضائل ويردعه عن الرذائل، وبذلك يكون حكمًا
على تصرفاته وسلوكه في هذه الحياة.

ولقد فهم الكفار من قوم شعيب عليه الصلاة
والسلام دعوته إلى هذه المزية من مزايا الصلاة
فذكروا ذلك له بأسلوب من السخرية والإنكار
وذلك فيما حكاه الله سبحانه عنهم بقوله ﴿ قَالُوا
يَشْعِيبُ أَسْلَوْتَك تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ
الرَّشِيدُ ﴿ [هود: ٨٧] .

فقوم شعيب عليه الصلاة والسلام ينكرون
عليه أن أمرهم بالصلاة لله تعالى التي تمنعهم من
السجود للأوثان ومن التصرف في أموالهم بما لا
يرضي الله تعالى وقد كانوا يطففون في المكاييل
والموازين ويبخسون الناس أشياءهم.

ألا وإن صلاته عليه الصلاة والسلام لتأمره
بجميع الفضائل وتنهاه عن جميع الرذائل رغم أنوف
الحيارى الحاقدين الذين قصرت أفهامهم عن إدراك
المقاصد العالية للتكاليف الشرعية. وقد قرن الله تعالى

(٣٤)

بين إضاعة الصلاة واتباع الشهوات حيث يقول
سبحانه ﴿ خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ
وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم: ٥٩]، مما
يدل على أهمية الصلاة وأثرها في حجر صاحبها عن
الركون إلى الشهوات، وقوله ﴿ غِيًّا ﴾ أي خسراً،
كما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله
عنها^(١).

٦ - تحقق أثرها في الصبر على الشدائد :

أمر الله تعالى نبيه ﷺ بقيام الليل: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٣٧).

﴿١﴾ قُرْءَانَ الْقُرْءَانِ تَرْتِيلاً ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً ﴿المزمل: ١-٥﴾ مما يدل على مكانة الصلاة في الإعانة على تحمل الشدائد ومواجهة الصعاب.

لقد كان رسول الله ﷺ يواجه عنتاً وشدة من الكفار، ولقد كان في أمره بقيام الليل وما يتزود به في مناجاة الله تعالى من زاد روحي كبير أكبر العون على مواجهة متاعب الحياة وقسوة المخالفين.

ولقد قرن الله تعالى الأمر بالصلاة بالأمر بالصبر في مواجهة الشدائد وتحمل الصعاب حيث يقول
﴿جَلَّ وَعَلَا ﴿١﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ

إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يُطِئُونَ أَنفُسَهُمْ مَلَقُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿ [البقرة: ٤٥-٤٦]، ويقول ﴿ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿ [البقرة: ١٥٣] وقوله ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ يعني
الصلاة، أو الوصية المفهومة من الآية بالجمع بين
الصبر والصلاة. ولقد كان الأنبياء عليهم السلام
يفزعون إلى الصلاة عند الشدائد كما جاء في الحديث
الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث صهيب رضي الله عنه قال:
«كان رسول الله ﷺ إذا صلى همس شيئاً لا نفهمه ولا
يحدثنا به قال: فقال رسول الله ﷺ، فطنتم لي؟ قال
قائل: نعم، قال: فإني قد ذكرت نبياً من الأنبياء أُعطي

جنودًا من قومه فقال: من يكافئ هؤلاء! فأوحى الله إليه: اختر لقومك بين إحدى ثلاث، إما أن أسلط عليهم عدوًّا من غيرهم أو الجوع أو الموت، قال: فاستشار قومه في ذلك، فقالوا: أنت نبي الله نكلُ ذلك إليك فخر لنا، قال: فقام إلى صلاته، وكانوا يفرعون إذا فرعوا إلى الصلاة، قال: فصلي، قال: أما عدوُّ من غيرهم فلا، أو الجوع فلا، ولكن الموت، قال: فسلط عليهم الموت ثلاثة أيام فمات منهم سبعون ألفًا فهمسي الذي ترون أني أقول: اللهم يا ربِّ بك أقاتل وبك أصاول ولا حول ولا قوة إلا

بالله» وفي رواية أن ذلك كان في أيام حنين^(١).

هذا ومن أمثلة ما جرى من الصحابة رضي الله عنهم من تطبيق ما جاء في الآيتين الكريمتين ما أخرجه محمد بن نصر من طريق زيد بن علي بن الحسين عن أبيه قال: نُعِيَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسِ ابْنُ لَهُ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَقَالَ: إنا لله وإنا إليه راجعون ثم نزل فصلى ركعتين، ثم قال: فعلنا ما أمر الله به وتلا هذه الآية:

﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.

وما أخرجه أيضًا من حديث إبراهيم بن عبد

(١) مسند أحمد (٤/٣٣٣). وأخرجه محمد بن نصر في كتاب تعظيم

الصلاة رقم ٢٠٩.

الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: عُثِي على عبد الرحمن بن عوف غشية ظنوا أنه قد فاض فيها، حتى قاموا من عنده وجللوه ثوبًا، وخرجت أم كلثوم بنت عقبة [يعني زوجته] إلى المسجد تستعين بما أمرت به من الصبر والصلاة^(١).

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يبيتون في ليالي الجهاد سُجَّدًا وقيامًا تأسياً برسول الله صلوات الله عليه، ثم يقاتلون أعداءهم في النهار بقوة ومعنوية عالية.

ومما يذكر لصلاح الدين الأيوبي الذي هزم الله على يده الصليبيين أنه كان ليلة معركة حطين الفاصلة

(١) تعظيم الصلاة رقم ٢٠٢، ٢٠١.

يتفقد خيام الجند فوجدهم ما بين قائم وساجد ما عدا
خيمة واحدة وجد أهلها نيامًا، فقال: إن أُتينا فإنها
سنؤتى من هذه، فسرح أهلها إلى دمشق.

٧- تحقق أثرها في الطمأنينة وراحة النفس :

الصلاة في الإسلام واحة روحية يلجأ إليها
المسلم ليتفياً ظلها الوارف فيجد فيها علاجًا
لمشكلاته النفسية ويتخلى بها عن هموم الحياة.

وقد كان النبي ﷺ يعدّ الصلاة راحة للنفس
وقرّة للعين، كما أخرج الإمام أحمد من حديث أنس
ابن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا

النساء والطيب وجعل قرّة عيني في الصلاة»^(١).

وكان يعدّ الصلاة راحة للنفس كما أخرج الإمام
أحمد من حديث سالم بن أبي الجعد عن رجل من
أسلم أن النبي ﷺ قال: يا بلال أرحنا بالصلاة»^(٢).

(١) المسند (٣/١٢٨). وأخرجه الإمام محمد بن نصر في كتابه تعظيم

الصلاة - رقم ٣٢٢.

(٢) المسند (٥/٣٦٤).

الأسباب الجالبة للخشوع

من الأسباب الجالبة للخشوع وحضور القلب مع الله تعالى شعور العبد بأنه يناجي ربه جل وعلا، ومن التوجيهات النبوية في ذلك ما أخرجه الإمام محمد بن نصر بإسناده عن أبي حازم من هذيل قال: جاورت في مسجد المدينة مع رجل من أصحاب النبي ﷺ من بني بياضة فبينما نحن في المسجد ورسول الله ﷺ في قبة له، فأشار إلى من في المسجد: أن اجتمعوا فاجتمعنا فوعظنا موعظة لم أسمع بمثلها، فقال: «إن أحدكم إذا قام يصلي فإنه مناج ربه فلينظر بم يناجيه» وأخرجه الإمام أحمد بنحوه (١).

(١) تعظيم الصلاة رقم ١٣٢، مسند أحمد (٣٦/٢).

ومن أسباب الخشوع إخلاص النية في التقرب
إلى الله تعالى بالعبادة فيجدد المسلم نية التقرب إليه
سبحانه في كل صلاة ليكون قلبه حاضرًا معه وليثاب
على هذه النية الخالصة.

إن الإنسان إذا خرج إلى أي عمل من الأعمال
وقد استحضر له نية فإنه يُعمل فكره في ذلك العمل
حتى يكون مستعدًّا لإتقانه ولدرء العوارض التي
تحول دون نجاحه، فليستحضر المصلي أنه ذاهب
لمناجاة الله تعالى وليعمل فكره في محاولة إنجاح هذا
اللقاء العظيم.

ومن أسبابه تدبر معاني الآيات والأذكار الواردة

في الصلاة، فإذا أراد الشروع في الصلاة بالتكبير
فليفهم معنى ما يقول، فإذا كان الله جل وعلا أكبر
من كل شيء فلا يلتفت العبد إلى غيره، ولعل هذا من
حكمة تكرر هذه الصيغة في الانتقال بين أركان
الصلاة، فإذا كبر المصلي بلسانه فليكبّر أيضًا بقلبه،
وذلك بحضور القلب وتذكر معنى هذه الصيغة،
وإذا استعاذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم فليتذكر
عظمة الله جل وعلا في مقابل ضعف الشيطان
وحقارته، وإذا قال سبحان ربي العظيم، فليتذكر أنه
يعظم الله عز وجل بقوله وفعله حيث إن الركوع هيئة
تعظيم، فلا يقتصر في التعظيم على القول والفعل دون
اعتقاد القلب، وإذا سجد فليتذكر وهو في أخفض

(٤٥)

حال علو الله سبحانه على كل شيء فيكون قد جمع في الإقرار بعلو الله تعالى بين القول والعمل والاعتقاد، وهكذا في بقية أذكار الصلاة، ولتذكر معاني الآيات التي يتلوها ويشغل بتدبرها، وبهذا يكون قلبه ولسانه وجوارحه متجهة نحو الله تعالى في كل الصلاة حيث إن الصلاة ليس فيها فراغ للتفكير في الدنيا وما فيها.

يقول الحسن البصري رحمه الله: إذا قمت إلى الصلاة فقم قائماً كما أمرك الله، وإياك والسهو والالتفات أن ينظر الله إليك وتنظر إلى غيره، تسأل الله الجنة وتعوذ به من النار وقلبك ساهٍ ولا تدري ما

تقول بلسانك^(١).

ومن أسباب الخشوع تحريك الشفتين بالتلاوة والذكر، حيث تشتغل حاسة السمع مع اللسان فيكون ذلك أعون على طرد الشيطان ووساوس النفس، وذلك من غير رفع الصوت بالنسبة للمأموم لأن ذلك يشغل من بجواره ويؤثر على خشوعه، وذلك يتنافى مع قول رسول الله ﷺ «ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة في الصلاة»^(٢).

(١) كتاب تعظيم الصلاة رقم ١٤٠.

(٢) مسند أحمد (٣٦/٢)، سنن أبي داود، رقم ١٣٣٢، الصلاة

(١٨٣/٢).

أما تحريك الشفتين فمن أدلة ذلك ما أخرجه
الإمام البخاري من حديث أبي معمر عبد الله بن
سخبرة قال: سألنا خبَّابًا أكان النبي ﷺ يقرأ في الظهر
والعصر؟ قال: نعم، قلنا: بأي شيء كنتم تعرفون؟
قال: باضطراب لحيته»^(١).

ومن أسباب الخشوع الزهد في الدنيا والإقبال
على الآخرة، وذلك أن الانصراف للدنيا على أنها غاية
يعمل الإنسان لها يحتم عليه أن يصرف فكره
واجتهاده لهذا الغرض، فإذا أيقظه ضميره بدافع من
وازعه الإيماني وأراد أن يحضر قلبه في الصلاة فإن

(١) صحيح البخاري، رقم ٧٦٠، الأذان (٢/٢٤٤).

خواطر الدنيا التي تعلّق قلبه بها تهجم وتسيطر على تفكيره فيخرج من الصلاة بأقوال وأفعال لا علاقة لها بقلبه، إلا بمقدار ما يغلب على قلبه من وازعه الإيماني.

أما إذا كان مقبلاً على الآخرة، ومقدراً للدنيا بقدرها كظرف للعمل الصالح وجواز مرور إلى الآخرة فإن ذلك يدفعه إلى الخشوع وحضور القلب مع الله تعالى، ويحمله على الشغف بالعبادة باعتبار أنها وسيلة للتقرب إلى الله عز وجل والظفر برضوانه ونعيمه.

وبيان ذلك أن من غلب على تفكيره أمر الآخرة

فإن هذا التفكير هو الذي يمكن أن يطرأ عليه في الصلاة وذلك منسجم مع مقاصدها، أما الذي يغلب على تفكيره أمر الدنيا فإن هذا التفكير هو الذي يطرأ عليه في صلاته وهذا مناقض لمقاصد الصلاة.

ومن أسباب الخشوع: الصلاة في المسجد جماعة لأن جو المسجد الروحاني وما فيه من الهدوء والسكينة لا يمكن أن يتوافر غالباً في البيوت لكثرة ما فيها من الملهيات والمشغلات، وإن كان ينبغي للمسلم أن يهيم بيته أو جزءاً منه للصلاة لأن أغلب النوافل تكون في البيوت.

ومن أسباب الخشوع أن لا يكون أمام المصلي أو

عليه ما يشغله من ألوان وخطوط وكتابات ونحو ذلك، ومن أدلة كراهة ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ صلى في خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال: اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم وائتوني بأنبجانية أبي جهم، فإنها ألهمتني أنفاً عن صلاتي^(١)».

ومن أسباب الخشوع تذكر الموت عند الصلاة، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ « اذكر الموت في

(١) صحيح البخاري، رقم ٣٧٣، الصلاة (١/٤٨٢)، صحيح مسلم،

رقم ٥٥٦، المساجد (ص ٣٩١).

والخميصة نوع من الثياب له أعلام، والأنبجانية نوع آخر له خمل وليس له أعلام.

صلاتك فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحريّ
أن يحسن صلاته، وصلّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي
غيرها، وإياك وكل أمر يُعْتذر منه»^(١).

وكذلك ما جاء في حديث أبي أيوب الأنصاري
رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «إذا قمت في صلاتك فصلّ
صلاة مودّع» أخرجه الإمام أحمد^(٢).

ومن أسبابه الطمأنينة، والطمأنينة ركن من
أركان الصلاة، ومن أدلة ذلك حديث المسيء صلاته،
وهو ما أخرجه مسلم وأبو داود السجستاني رحمهما

(١) ذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٤٢١ (٣/٤٠٨)

من رواية الديلمي في مسند الفردوس .

(٢) مسند أحمد (٥/٤١٢).

الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ، فرجع الرجل فصلى كما كان صلى، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعليك السلام، ثم قال: ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ، حتى فعل ذلك ثلاث مرار، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمني، قال: إذا قمت إلى الصلاة فكبرْ ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن^(١)، ثم

(١) قال الخطابي رحمه الله تعالى: قوله: ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن "ظاهره الإطلاق والتخيير، والمراد منه فاتحة الكتاب لمن أحسنها لا يجزيه غيرها بدليل قوله صلى الله عليه وسلم «لا صلاة إلا بفاتحة» =

اركع حتى تطمئن راکعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ،
ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم اجلس حتى
تطمئن جالساً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها^(١) .

وقوله ﷺ « حتى تطمئن راکعاً » وقوله « حتى
تطمئن ساجداً » يعني ما تتحقق به الطمأنينة ، وذلك
الرجل الذي أنكر عليه النبي ﷺ سرعته في الانتقال

الكتاب» وهذا الإطلاق كقوله تعالى ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعِمَّةِ إِلَى الْحَجِّ فَلَا
أَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ثم كان أقل ما يجزئ من الهدى
معيناً معلوم المقدار ببيان السنة وهو الشاة - معالم السنن
(١/٤٠٥) -

(١) صحيح مسلم ، رقم ٣٩٧ ، الصلاة / ١١ (ص ٢٩٨) ، سنن أبي
داود ، رقم ٨٥٦ ، الصلاة / ١٤٨ (١/٥٣٤) .

بين أركان الصلاة لا يتصور منه أنه لم يسبح في الركوع
والسجود مطلقاً، لأنه مسلم ويفهم واجبات الصلاة،
وإنما تدل سرعته في الركوع والسجود على أنه ربما
اقتصر على تسبيحة واحدة، وإنكار النبي ﷺ سرعته
دليل على أن التسبيحة الواحدة لا تحقق الطمأنينة في
الصلاة، خلافاً لما ذهب إليه بعض العلماء، فقول
بعض العلماء تجزئ تسبيحة واحدة وأدنى الكمال
ثلاث تسبيحات والكمال خمس تسبيحات يرد عليه
هذا الحديث، وذلك في إنكار النبي ﷺ على ذلك
الرجل سرعته في أداء صلاته، وإنما يفهم من هذا
الحديث أن الطمأنينة لا تحقق إلا بثلاث تسبيحات
على الأقل .

وكون النبي ﷺ أمر بالتسييح ولم يذكر عددًا
لا يدل على أنه يجزئ تسييحة واحدة .

وجاء في الرسالة السنية للإمام أحمد : جاء
الحديث عن الحسن البصري أنه قال: التسييح التام
سبع، والوسط خمس، وأدناه ثلاث^(١) .

ومن أسباب الخشوع النظر إلى موضع
السجود، وهذا من سنن الصلاة الظاهرة، وهو من
أبلغ الأمور التي تساعد على حصر فكر المصلي في
صلاته، لأن رفع البصر أو الالتفات به يمينًا وشمالاً
يشغل المصلي بما يراه أمامه أو عن يمينه وشماله .

(١) مجموعة الحديث النجدية ٤٥٥ عن المغني لابن قدامة ١٧٨/٢ .

ومن أسباب الخشوع أن لا يصلي المسلم وهو
بحضرة طعام يشتهي، ولا وهو يدافع قضاء حاجته،
ومما جاء في النهي عن ذلك ما أخرجه أبو عبد الله
البخاري رحمه الله من حديث عائشة رضي الله عنها
أن النبي ﷺ قال: «إِذَا وُضِعَ الْعِشَاءُ وَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ
فابدؤوا بالعشاء».

وفي رواية له من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قُدِّمَ الْعِشَاءُ فابدؤوا به قبل أن
تصلوا المغرب ولا تعجلوا عن عشاءكم»^(١).

وكذلك ما أخرجه مسلم وأبو داود السجستاني

(١) صحيح البخاري، رقم ٦٧١ و٦٧٢، كتاب الأذان (٢/١٥٩).

رحمهما الله من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصليَّ بحضرة
الطعام ولا وهو يدافعه الأخبثان»^(١).

ومعلوم أن الإنسان يستطيع أن يؤدي أفعال
الصلاة وأقوالها وهو كذلك، ولكنه سينشغل فكره
بإشباع شهوته إلى الطعام أو إزالة الأذى عنه، وذلك
يؤثر على خشوعه في الصلاة.

ومن ذلك وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى
في القيام، كما قال الحافظ ابن رجب: ومما يظهر فيه

(١) صحيح مسلم، رقم ٥٦٠، الصلاة/١٦ (ص ٣٩٣)، سنن أبي
داود، رقم ٨٩، كتاب الطهارة، باب ٤٣ (١/٦٩)، والأخبثان
البول والغائط.

الخشوع والذل والانكسار من أفعال الصلاة وضع
اليدين إحداهما على الأخرى في حال القيام، قال:
وقد رُوي عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه سئل عن
المراد بذلك فقال: هو ذُلُّ بين يدي عزيز. قال: قال
علي بن محمد المصري الواعظ رحمه الله: ما سمعت في
العلم بأحسن من هذا.

قال: ورُوي عن بشر الحافي رحمه الله تعالى قال:
أشتهي منذ أربعين سنة أن أضع يداً على يد في الصلاة
ما يمنعني إلا أن يكون قد أظهرت من الخشوع ما
ليس في القلب مثله^(١) أهـ.

(١) الخشوع في الصلاة / ٣٦.

وما ذكره عن الإمام أحمد وعن بشر الحافي دليل
على فقهما وعدم اقتصارهما على الأحكام الظاهرة
التي اشتغل بها كثير من الفقهاء ولم يلتفتوا إلى أسرار
العبادات وحكمها، غير أنه يلاحظ على كلام بشر
الحافي غلبة النظر إلى أعمال القلوب على النظر إلى
الأحكام الظاهرة حيث لم يعمل بسنة وضع اليدين
إحداهما على الأخرى خشية أن لا يكون وصل في
الخشوع إلى ما يعادل هذا الحكم الظاهر، والحقيقة أن
المصلي مأمور بالأمرين: أن يخشع بقلبه، وأن يعمل
بهذه السنة الظاهرة، فإذا جمع بينهما فهذا هو الكمال،
أما إذا شعر الإنسان بتقصيره في الخشوع فلا يعني
ذلك أن يعطل السنة الظاهرة، بل المطلوب منه أن

(٦٠)

يعمل بها وأن يجعل من مواظبته عليها مُذَكِّرًا له
ودافعًا إلى العمل بمقتضاها وهو خشوع القلب.

(٦١)

اهتمام الصحابة بالخشوع في الصلاة

مما يدل على اهتمام الصحابة ﷺ بحضور القلب مع الله تعالى في الصلاة ما أخرجه الإمام أحمد من حديث عمر بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام عن أبيه أن عمارة صلى ركعتين، فقال له عبد الرحمن بن الحارث: يا أبا اليقظان لا أراك إلا قد خففتها، قال: هل نقصت من حدودها شيئاً؟ قال: لا ولكن خففتها، قال: إني أبادر بهما السهو، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل ليصلي ولعله أن لا يكون له من صلاته إلا عشرها أو تسعها أو ثمنها أو سبعها» حتى انتهى إلى آخر العد^(١).

(١) مسند أحمد (٤/٣١٩). وأخرجه الإمام محمد بن نصر في كتابه

تعظيم الصلاة رقم ١٥٢.

فأبو اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنه يهتم بالخشوع
واجتناب السهو بالفكر خارج الصلاة أكثر من
اهتمامه بإطالة الصلاة وإكمال مظهرها، وذلك لأنه لا
فائدة من كمال المظهر إذا وقع الخلل في المخبر.

ومن اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بعدم
إشغال الفكر بغير الصلاة ما أخرجه الإمام مالك بن
أنس من حديث عبد الله بن أبي بكر: أن أبا طلحة
الأنصاري رضي الله عنه كان يصلي في حائطه ^(١) فطار دبسي ^(٢)
فطفق يتردد يلتمس مخرجًا، فأعجبه ذلك فجعل يُتبعه

(١) أي بستانه.

(٢) هو طائر يشبه اليمامة.

بصره ساعة ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم
صلى فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنة، فجاء إلى
رسول الله ﷺ فذكر له الذي أصابه في حائطه من
الفتنة وقال: يارسول الله هو صدقة لله فضعه حيث
شئت (١).

وكذلك ما أخرجه من حديث عبد الله بن أبي
بكر أن رجلاً من الأنصار كان يصلي في حائط له
بالقفّ - وادٍ من أودية المدينة - في زمن الثمر، والنخل
قد ذُلَّتْ (٢) فهي مطوّقة بثمرها، فأعجبه ما رأى من

(١) الموطأ، الصلاة، رقم (٩٨/١).

(٢) أي قد نضج ثمرها ومالت عراجينها من الثقل.

ثمرها، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلى!
فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنة فجاء عثمان بن
عفان وهو يومئذ خليفة، فذكر ذلك وقال: هو صدقة
فاجعله في سُبُل الخير، فباعه عثمان بخمسين ألفاً،
فسمِّي ذلك المال الخمسين^(١).

وفي هذين الخبرين عبرة عظيمة في تضحية
الصحابة رضي الله عنهم بأموالهم في سبيل المحافظة
على دينهم، فليس من اليسير على الإنسان أن يتصدق
ببستان كامل دفعة واحدة، وفي مقابل ماذا؟ في مقابل
أنه انشغل به عن صلاة واحدة!!

(١) الموطأ، الصلاة، رقم (٧٠/١) (٩٩).

فما أعظم قدر الصلاة في نظر الصحابة رضي الله
عنهم!

وما أعمق نظرهم إلى الحياة الآخرة!

وما أهون الدنيا في قلوبهم!

ومن أخبار الصحابة رضي الله عنهم في
اهتمامهم بالصلاة ما أخرجه محمد بن إسحاق بإسناده
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرجنا مع
رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب
رجل امرأة رجل من المشركين - يعني أخذها سبيّة -
فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً، أتى زوجها وكان
غائباً، فلما أُخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في

أصحاب محمد ﷺ دمًا، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ،
فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فقال: من رجل يكلؤنا
ليلتنا هذه؟ قال: فانتدب رجل من المهاجرين ورجل
آخر من الأنصار فقالا: نحن يا رسول الله، قال:
فكونا بقم الشعب، قال: وكان رسول الله ﷺ
وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي، وهما عمار
ابن ياسر وعباد بن بشر فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فلما خرج الرجلان إلى قم
الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل تحب أن
أكفيكه أوّله أو آخره؟ قال بل اكفني أوّله. قال:
فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي،

قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم - يعني طليعة القوم - فرمى بسهم فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه وثبت قائماً، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه وثبت قائماً، ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد ثم أهبَّ صاحبه - يعني أيقظه من نومه - فقال: اجلس فقد أثبتُّ - يعني أثبتتني الجراحة - قال: فوثب فلما رآهما الرجل عرف أنهما قد نذرا به فهرب، قال: ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله، أفلا أهببتني أوّل ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك، وإيم الله

(٦٨)

لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ لقطع نفسي
قبل أن أقطعها أو أنفذها^(١).

ففي هذا الخبر مثل واضح على قوة الصبر
واحتمال الأذى في سبيل الله تعالى لدى الصحابة
رضي الله عنهم، كما أنه يدل على عنايتهم بالصلاة
وأنها أغلى عندهم من أنفسهم وأموالهم، وهذه
الصلاة التي عمّرت بالخشوع وتوجت بحضور
القلب مع الله تعالى هي الصلاة المؤثرة، التي أنجبت

(١) سيرة ابن هشام (٣/٢٤٥).

وقال الحافظ ابن حجر: وأخرجه أحمد وأبو داود والدارقطني
وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم - فتح الباري
(١/٢٨١).

أبطالاً عظماء كهؤلاء الصحابة الكرام، فعلى قدر ما يعطونه ربهم جل جلاله في الليل من الخضوع والتذلل وتجريد القلب لعبادته يعطيهم بالنهار من القوة على مكابدة الأعداء ومواجهة الشدائد، ولذلك لا نجد في الأمر غرابة إذا وجدناهم ينامون قليلاً من الليل ويواجهون عدوهم مع انبلاج الفجر بعزائم قوية وهمم عالية تفوق طاقة الكفار بأضعاف، مع أن أعداءهم قد أخذوا قسطاً أكبر بكثير من النوم والراحة، فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم كما جاء في وصفهم «عَبَّادٌ فِي اللَّيْلِ فَرَسَانٌ فِي النَّهَارِ».

ونلاحظ في هذا الخبر أن عَبَّاد بن بشر قد

أغفل من حساب فكره النظر إلى مستقبل أولاده
وأهله وأمواله فيما إذا أصيب واستشهد، وإنما كان
يوازن النظر حينما رماه ذلك الرجل بين أمرين: أن
يكمل السورة التي بدأها أو أن يقطعها ليوثق أخاه
عماراً حتى لا يضيع المهمة الكبيرة التي أناطها به
رسول الله ﷺ، وكلا الأمرين من أمور الآخرة، وبهذا
نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يحسبون
للدنيا حساباً في تفكيرهم وإنما كان تفكيرهم منحصراً
في أعمال الآخرة.

ولقد كانت صلاة الصحابة رضي الله عنهم
الكاملة في مظهرها ومخبرها سبباً مهماً من أسباب

انتصارهم على أعدائهم، وذلك لأن الأعداء إذا رأوا المسلمين وهم يؤدون الصلاة بخشوع وانتظام يكبرون في أعينهم ويدخلهم الرعب منهم فينهزمون معنوياً قبل الدخول في قتال مع المسلمين.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما كان من المقوقس حاكم مصر، وقد أرسل رسلاً إلى المسلمين القادمين لفتح مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه ولما رجع الرسل إلى المقوقس سأهم عن المسلمين فقال: كيف رأيتموهم؟ قالوا: رأينا قومًا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهم، وإنما جلوسهم على

التراب وأكلهم على رُكبتهم، وأميرهم كواحد منهم،
ما يُعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد من العبد،
وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم واحد،
يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون في صلاتهم، فقال
عند ذلك المقوقس: والذي يُخلف به لو أن هؤلاء
استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء
أحد^(١).

ونرى بهذا أن هؤلاء الرسل قد أثنوا على حياة
الصحابة الاجتماعية والأخلاقية من الزهد في الدنيا
والتواضع والمساواة بينهم في مظاهر الحياة.

(١) النجوم الزاهرة للمؤرخ يوسف بن تَغري بردي (١٠ / ١).

كما أبدوا إعجابهم بانتظام المسلمين جميعاً في الصلاة حيث لا يتخلف منهم أحد، وهو مظهر مهم من مظاهر الانضباط عند المسلمين، كما أبدوا إعجابهم بما يقومون به بين يدي الصلاة من الوضوء، ثم في مظهر السكينة والخشوع الذي يعلو وجوه المؤمنين ويحكم جوارحهم وهم يؤدون الصلاة.

ومما يذكر من تأثير الصلاة على غير المسلمين ما كان من خبر البوذيين في فتوح السند حيث أسلم طائفة كبيرة منهم على يد محمد بن القاسم الثقفي، وكانوا قد أرسلوا مندوباً لهم لمعرفة خبر المسلمين فوافاهم وهم يصلون جماعة في خشوع مهيب

فاندهش لمنظرهم وأخبر قومه بذلك فقالوا: إذا كان
العرب يعبدون الرب ويطيعونه ولا يتركون صلاتهم
حتى في أخطر المواقف وهم بهذا الشكل من الاجتماع
فلا يمكن لنا مقاومتهم وهذا دليل على صحة دينهم.
وقد أرسلوا وفدًا من زعمائهم فأعلنوا إسلامهم،
وأسلم قومهم جميعًا^(١).

ولا شك أن صورة المؤمنين وهم يستعدون
للصلاة بالوضوء الذي هو مظهر من مظاهر الطهارة
والنظافة التي يتفق العقلاء على أهميتها في حياة

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي لبلاد الهند والبنجاب للدكتور
عبدالله الطرازي (١/١٧٤-١٧٦).

الإنسان، ثم انضباطهم جميعاً وراء إمام واحد،
وخشوعهم جميعاً بحيث لا يلتفتون ولا يرفعون
أبصارهم... لا شك أن هذه الصورة تأسر أنظار
الناس الذين يشاهدونها لأول مرة، وتخلب ألبابهم،
ويدركون من خلال هذه الصورة الأخاذة أن هؤلاء
المصلين وهم في هذا السكون الرهيب والخشوع
المهيب، قد خرجوا عن التفكير في هذه الحياة التي
يشارك في جواذبها عموم البشر إلى التفكير فيما وراء
الحياة، فيدفع هؤلاء المتأملين ذلك إلى التساؤل عن
الأمر المهم الذي شغل هؤلاء العظماء عن التفكير في
أمور الدنيا، وعندها يدركون أن هذا الأمر المهم هو
الخضوع لعظمة الله عز وجل ولذة مناجاته والشوق

(٧٦)

إلى لقاءه والظفر بنعيمه في دار الخلود.

ومن هنا نعلم أن هذه الصلاة الجماعية بذلك
المظهر الأخاذ من الخشوع والسكينة تعدّ أعلى مظهر
من مظاهر الدعوة إلى الإسلام.

ولقد أثرت هذه المظاهر الأخلاقية على المقوقس
فقال ما قال من الثناء على المسلمين والاعتراف بأنهم
لو استقبلوا الجبال لأزالوها، وإنما قال ذلك بناء على
تجاربه الحربية، وإدراكه بأن التفوق الأخلاقي يترتب
عليه التفوق الحربي.

وقد يقال إن الأعداء الآن يسمعون أذان المسلمين
ويشاهدون صلاتهم فلم لم تؤثر هذه المشاهد عليهم؟

(٧٧)

فيقال: إن السلاح مهما كان قويًا ماضيًا فإن
مفعوله يضيع إذا كان بأيدي الضعفاء والجبناء، وقد
كان أسلافنا المجاهدون من الصحابة والتابعين قاموا
بعمل جهادي ضخم لفت الأنظار وأسر الأفكار،
فأصبح عقلاء العالم آنذاك يتفحصون حياة أولئك
المجاهدين ويبحثون عن أسرار عظمتهم وقوتهم، أما
العالم الإسلامي اليوم فقد أصبح ذيولاً ذليلة للأعداء
فأي قوة لهم تلفت الأنظار وأي تفوق لهم يأسر
الأفكار!!؟

ولكن هل عدم تأثر الكفار بصلاة المسلمين
بصورة نهائية؟

الواقع أنه ما يزال موجودًا ولكن بصورة فردية ونادرة، ومن هذه الأمثلة النادرة ما نشرته مجلة الأسرة في عددها رقم ٨٦ في شهر رجب ١٤٢٠هـ بعنوان «مشهد فجر إسلامي» وذلك من مقالة للشاعرة والأديبة اليابانية «سوى آدرا» التي أصبح اسمها بعد أن أسلمت «مريم»، حيث تقول «عندما اقتربت من المجتمع الإسلامي أثار دهشتي العديد من الأشياء، منها عندما يرتفع صوت الأذان يذهب الرجال إلى المساجد مهما كانت الظروف، ويصطف الجميع في صف واحد، حيث تلتقي الأرجل بالأرجل والأكتاف بالأكتاف، ولا أحد يعترض على من يقف بجواره سواء كان هذا الشخص عظيمًا أم فقيرًا،

(٧٩)

فالكل سواء، والناس يذهبون إلى الصلاة دون إجبار
من أحد أو طمع في الحصول على مال أو منصب،
و حين عرفت ذلك لم أجد صعوبة في إشهار إسلامي
الذي كان حيًّا في داخلي طوال حياتي أعيش به دون
أن أعرف».

والخشوع من صفات المؤمنين الخُلص، وقد كان
الصحابة رضي الله عنهم يتصفون به لقوة إيمانهم.

و حينما يضعف إيمان الأمة يرفع منهم الخشوع
كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بإسناده
عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : « بينما نحن جلوس عند
رسول الله صلوات الله عليه ذات يوم فنظر في السماء ثم قال: هذا

أوان العلم أن يرفع، فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد أيرفع العلم يا رسول الله وفينا كتاب الله تعالى وقد علمناه أبناءنا ونساءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: إن كنت لأظنك من أفقه أهل المدينة، ثم ذكر ضلالة أهل الكتابين وعندهما ما عندهما من كتاب الله عز وجل».

قال: فلقي جبير بن نفير شداد بن أوس فحدثه بهذا الحديث عن عوف بن مالك، فقال: صدق عوف، ثم قال: وهل تدري ما رفع العلم؟ قال: قلت: لا أدري، قال: ذهاب أوعيته [يعني موت العلماء]، قال: وهل تدري أي العلم أول يرفع؟ قال:

قلت لا أدري، قال الخشوع حتى لا تكاد ترى
خاشعاً^(١).

ونظرًا لكون الصحابة رضي الله عنهم يصلون
بقلوبهم قبل أبدانهم فإن الصلاة كان لها منزلة عظيمة
في قلوبهم، ومن الأخبار الرائعة في ذلك ما أخرجه
الحافظ الطبراني رحمه الله من حديث المسور بن مخرمة
رضي الله عنه قال: دخلت على عمر بن الخطاب وهو
مُسَجَّى^(٢)، فقلت: كيف ترونه؟ قالوا: كما ترى،
قلت: أيقظوه بالصلاة فإنكم لن توقظوه [بشيء]

(١) المسند (٢٦/٦).

(٢) يعني بعدما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي.

أفزع له من الصلاة، فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين،
فقال: ها الله إذا ولا حقَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة،
فصلى وإن جرحه ليشعب دمًا.

ذكره الحافظ الهيثمي رحمه الله وقال: رواه
الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح^(١).
وإذا كانت الحُقن الطبية لها أثر في تنبيه العقل
وإزالة الغشاوة عنه فإن الصلاة لها أثر خاص في إزالة
الغشاوة عن عقول المؤمنين السابقين بالخيرات.

(١) مجمع الزوائد (١/٢٩٥).

فضل صلاة الجماعة

من الأحاديث التي تبين فضيلة صلاة الجماعة في المسجد ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رُفعت لها بها درجة وحُطَّ عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تنزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة» وفي رواية أخرى لهما من

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « صلاة الجماعة
تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»^(١) .

وكذلك ما أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي
الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لو يعلم الناس ما في
النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه
لا استهموا ، ولو يعلمون ما في التهجير لا سبقوا
إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو
حبوا»^(٢) .

(١) صحيح البخاري ، رقم ٦٤٧ ، و ٦٤٥ ، الأذان (٢/١٣١) ،

صحيح مسلم رقم ٦٤٩ ، المساجد (ص ٤٤٩) .

(٢) صحيح البخاري ، رقم ٦١٥ ، الأذان (٢/٩٦) ، صحيح مسلم

رقم ٤٣٧ ، الصلاة (ص ٣٢٥) .

والتجهر هو التبكير إلى الصلاة، والعممة هي
صلاة العشاء .

أما الصحابة رضي الله عنهم فمن الأقوال
المأثورة عنهم التي تبين اعتقادهم بوجوب صلاة
الجماعة في المساجد ما أخرجه الإمام مسلم من
حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من
سرّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هذه
الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ
سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم
في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة
نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل

يتطهر فيحسن الطُّهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه
المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة
ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما
يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان
الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام في
الصف^(١).

ولقد كان تأثر المسلمين بهذه الأحاديث والآثار
وأمثالها شديداً واستقامتهم على حضور الجماعات في
المساجد مستمرة على مدى الزمان، ومن أخبار العلماء
المؤثرة في ذلك ما ذكره الحافظ الذهبي عن العالم

(١) صحيح مسلم ٦٥٤ / ٢٥٧، المساجد (ص ٤٥٣).

العابد عبید الله بن عمر القواريري أنه قال: لم تكن تكاد تفوتني صلاة العتمة في جماعة. فنزل بي ضيف فشغلت به فخرجت أطلب الصلاة في قبائل البصرة، فإذا الناس قد صلوا، فقلت في نفسي: يُروى عن النبي ﷺ أنه قال: « صلاة الجمع تفضل صلاة الفذ إحدى وعشرين درجة » ورُوي « خمساً وعشرين » وروي « سبعا وعشرين » فانقلبت إلى منزلي فصليت العتمة سبعا وعشرين مرة، ثم رقدت فرأيتني مع قوم راكبي أفراس وأنا راكب، ونحن نتجاري وأفراسهم تسبق فرسي فجعلت أضربه لألحقهم، فالتفت إليّ آخرهم فقال: لا تُجهد فرسك فلست بلاحقنا قال:

فقلت: ولم؟ قال: لأننا صلينا العتمة في جماعة^(١).

فهذا اجتهاد بالغ من هذا الإمام في تدارك صلاة العشاء التي فاتته، فقد دار على مساجد البصرة ليدرك صلاة العشاء التي فاتته، فلم يحصل له ذلك، ثم اجتهد فصلى سبعا وعشرين مرة ليحصل على فضيلة الجماعة، فما أعظم هذا الحرص على درجات الثواب من هذا الإمام! وكم قضى من الوقت والجهد في هذه الصلوات من أجل تدارك ما فاتته من مضاعفة الأجر بصلاة الجماعة!

ولكنه مع ذلك رأى تلك الرؤيا العجيبة

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٤٤٤.

المباركة التي تدل على أن المسلم وإن كرّر الصلاة
سبعاً وعشرين مرة في بيته فلن يلحق بالثواب من
حضروا صلاة الجماعة ، وهذا دليل على أهمية الصلاة
مع الجماعة في المساجد وعظّم منزلتها في الدين .
فكم يخسر الذين يصلون الصلوات الخمس أو
بعضها في بيوتهم! وكم أضاعوا من درجات من
الثواب عالية تُعدُّ بالألوف والملايين!
إن في هذا الخبر لتذكراً للغافلين واستنهاضاً
لهمّ المتكاسلين، وقُرّة عين للفائزين السابقين .

أثر صلاة الجماعة في تقوية الأخوة الإسلامية

إن من آثار صلاة الجماعة إيجاد التكافل الاجتماعي بين المسلمين فالمسجد هو وسيلة التعارف اليومية حيث يتعارف أبناء الحي الواحد ، ومع مرور الأيام يألف بعضهم بعضا وتتكون بينهم المحبة في الله ثم تتقوى بينهم أواصر الأخوة الإسلامية .

وعند ذلك تظهر آثار هذا التعارف وهذه الأخوة في الله في ترابط أفراد المجتمع وانسجامهم جميعاً في أسرة واحدة، فالكبير يرحم الصغير ويعطف عليه ، والصغير يحترم الكبير ويوقره ، والغني يوجد على الفقير ، وإذا وقع أحد أفراد الحي بمصيبة أو أصابته جائحة في ماله وجد من إخوانه من يواسيه

ويعيده إلى حال كريمة .

وبهذا يشعر الفرد أنه ليس مقطوعًا ، وإن لم يكن له أسرة في بيته فهو فرد من أسرة كبيرة ، فإذا فقد من المسجد سأل عنه إخوانه على الفور، فإن كان مريضًا عادوه، وإن كان مسافرًا تفقدوا أسرته ورعوها كما لو كان موجودا .

فالمسجد عامل مهم في بناء المجتمع لأنه يجمع الأفراد على أهداف واضحة مشتركة تتسع للجميع ولا يؤدي التنافس عليها إلى إثارة الحقد والبغضاء وإرادة الشر، بل يؤدي التنافس عليها إلى زرع المودة والرحمة في القلوب وإرادة الخير للناس جميعا .

ولقد بين النبي ﷺ أن ملازمة المسجد مما يعصم

(٩٢)

المسلم من الوقوع في الزلل والتعرض لوساوس
الشيطان حيث يقول ﷺ « إن الشيطان ذئب الإنسان
كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية ، فإياكم
والشعاب وعليكم بالجماعة والعامّة والمسجد » .
أخرجه الإمام أحمد من حديث معاذ بن جبل
ﷺ (١) .

وفي هذا الحديث النبوي يوجهنا النبي ﷺ إلى
لزوم الجماعة والبعد عن التفرق ولزوم ما عليه عامة
المسلمين والبعد عن الشذوذ ولزوم المساجد حيث
التربية الإسلامية التي تذكّر المسلم بالآخرة وتبين له

(١) المسند ٥/٢٢٢ - ٢٢٣ .

منزلة الدنيا من الآخرة .

ومسجد الحي هو بداية التعارف والتآلف ، لأن مداومة اللقاء في جو المسجد الروحي والصلاة جماعة فيه من أقوى الروابط التي تربط بين جماعة المسلمين، إضافة إلى ما يقوم به إمام المسجد من تذكير الجماعة بواجبهم في التآلف والتآخي وإصلاح ذات البين . وهذا التعارف والتآخي مرحلة لتعارف أكبر وتآلف أشمل ، وذلك حيث يجتمع المسلمون يوم الجمعة في القرية الواحدة أو بعضهم في المدينة حيث تتعدد الجوامع، ومهمة الخطيب في هذا المجال أن يكمل ما بدأه المسلمون من التآخي في أحياء مختلفة ومساجد متعددة ، وذلك بالتركيز على معاني الأخوة

(٩٤)

الإيمانية ولزوم الجماعة الإسلامية، حتى يخرج المسلمون من المسجد وهم يشعرون بأن لهم إخوة في الله كثيرين ، ويكفي أنهم يرون منهم يوم الجمعة هذا الحشد الكبير .

إن المسلم يوم الجمعة ليس بإمكانه أن يتعرف على كل من في المسجد من المصلين، ولكن يكفي شعوره بأن جميع من صلوا معه إخوة له في الإيمان، وأن يشعر بأن هؤلاء ليسوا إلا نموذجاً واحداً لمجموعات كبيرة من إخوته في الله في سائر بقاع المعمورة .

وإن موضوع التذكير بواجبات الأخوة الإسلامية، والتكافل بين أفراد المجتمع من أهم

الموضوعات التي يجب على خطيب الجمعة أن يهتم بها لأنها تجسّم الحكمة التي من أجلها شرعت صلاة الجمعة والجماعة .

ونظرا لما لصلاة الجمعة من الأهمية البالغة في الإسلام فقد جاء التعليل الشديد في وعيد تاركها، كما أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم أنها سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره «ليتتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»^(١) .

(١) صحيح مسلم ، رقم ٨٦٥ ، كتاب الجمعة ، باب ١٢ (ص ٥٩١) .

وهل أعظم غفلة ممن حرم نفسه من استماع
الموعظة الأسبوعية الوحيدة التي فُرض عليه سماعها
وأداء الصلاة جماعة مع العدد الكبير من إخوانه
المسلمين؟!

وإننا حينما نرى المجتمعات البعيدة عن
الإسلام نجد أنها تعيش في تفكك وتباعد حتى بين
أفراد الأسرة الواحدة ولا عيش فيها إلا للقوي أما
الضعيف فإنه يهلك بين تنافس الأقوياء لانعدام
الرحمة والتكافل بين أفراد المجتمع، وما ذلك إلا لأنها
لم توفق إلى هذه المبادئ السامية التي وفَّق إليها
المسلمون والتي توجد الإخاء والتكافل الاجتماعي .

فهرس الموضوعات

ص	الموضوع
٣	المقدمة
٥	الصلاة الكاملة
١٠	آثار الخشوع في الصلاة
٤٣	الأسباب الجالية للخشوع
٦٢	اهتمام الصحابة بالخشوع
٨٤	فضل صلاة الجماعة
٩١	أثر صلاة الجماعة في تقوية الأخوة الإسلامية
٩٩	فهرس الموضوعات